

كنوز الحكمة
إشعياء 17:13 – 11:14

■ الدرس السابع عشر

تأملاتنا في نبوة إشعياء ما زالت مستمرة وقد وصلنا الى الفصل الثالث عشر من السفر. كان الفصل الثاني عشر قصيراً ويُسبِّه المزامير؛ فهو كاللؤلؤة الجميلة. حيث وجدنا تسبيح الشعب الذي يحكمه المسيح شخصياً وبصورة مباشرة. إنه تسبيح خالص نابع من قلوب مفعية، وموجه إلى الله بسبب خلاصه وبسبب خليقته. لقد رفعت اللعنة عن الأرض، وهذه مناسبة ملائمة لتسبيح الله وتقديم الشكر له لإظهاره الصلاح في الخليقة. والشيء الذي سيميز عصر مملكة المسيح هو الفرح الحقيقي النقي. وهو الشيء الذي يريده الرب لخاصته. فهو يريدنا أن نكون سعداء اليوم. وينبغي أن يعمل خلاصنا على ملء قلوبنا بالفرح والتسبيح للرب. ولا اعتقد بأننا سنصبح شهوداً للرب يسوع المسيح إلا حينما نمتلك ذلك الفرح العظيم.

الفصل الثالث عشر يحكي عن دينونات ستقع على تسع أمم مجاورة لأرض فلسطين في القديم. وهذا مقطع جدير بالملاحظة لأن غالبية النبوات الواردة فيه عن الدينونة قد تحققت وأصبحت حقائق تاريخية الآن. بابل هي موضوع الدينونة الأولى. سوف نرى عقاب الله لبابل في يوم الرب. وقد أصبحت بابل القوة العالمية الأولى في ذلك الوقت، وهذا مبيّن في نبوة دانيال. وبابل ترمز إلى التمرد الموحد ضد الله والذي بدأ ببرج بابل وسينتهي في رؤيا 17 و 18 حيث سترى بابل الدينية وبابل السياسية تحكم العالم. وسوف تقوم بابل بمهاجمة مملكة يهوذا الجنوبية وتسبي شعبها (كما فعلت آشور ضد أسباط الشعب العشرة في الشمال).

نتابع التأملات الآن في الفصل الثالث عشر من إشعياء ونقرأ منه من الآية السابعة عشرة وحتى نهاية الفصل..

17 هَانَذَا أَهْيِجْ عَلَيْهِمُ الْمَادِيِّينَ الَّذِينَ لَا يَعْتَدُونَ بِالْفِضَّةِ، وَلَا يُسْرُونَ بِالذَّهَبِ، 18 فَتُحْطَمُ الْقِيسِيُّ الْفُتَيَانُ، وَلَا يَرْحَمُونَ ثَمَرَةَ الْبَطْنِ. لَا تُشْفَقُ عُيُونُهُمْ عَلَى الْأَوْلَادِ. 19 وَتَصِيرُ بَابِلُ، بَهَاءُ الْمَمَالِكِ وَزِينَةُ فَخْرِ الْكِلْدَانِيِّينَ، كَتَقْلِيلِ اللَّهِ سُدُومَ وَعَمُورَةَ. 20 لَا تُعْمَرُ إِلَى الْأَبَدِ، وَلَا تُسْكَنُ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ، وَلَا يُخَيَّمُ هُنَاكَ أَعْرَابِيٌّ، وَلَا يُرْبِضُ هُنَاكَ رُعَاةٌ، 21 بَلْ تَرْبِضُ هُنَاكَ وَخُوشُ الْفَقْرِ، وَيَمْلَأُ الْيَوْمُ بُيُوتَهُمْ، وَتَسْكُنُ هُنَاكَ بَنَاتُ النَّعَامِ، وَتَرْقُصُ هُنَاكَ مَعَزُ الْوَحْشِ، 22 وَتَصِيحُ بَنَاتُ أَوَى فِي قُصُورِهِمْ، وَالذَّنَابُ فِي هَيَاكِلِ التَّنْعَمِ، وَوَقْتُهَا قَرِيبُ الْمَجِيءِ وَأَيَّامُهَا لَا تَطُولُ.

" هَانَذَا أَهْيِجْ عَلَيْهِمُ الْمَادِيِّينَ الَّذِينَ لَا يَعْتَدُونَ بِالْفِضَّةِ، وَلَا يُسْرُونَ بِالذَّهَبِ ". مَنْ هُمُ الْمَادِيُّونَ؟ أَصْبَحَتْ مَادِي وفارس أمّة واحدة وإمبراطورية عظيمة غزت بابل. وبتحدث النبي إشعياء عن ما سيحدث في المستقبل القريب. كما أنه يُحدّد هويّة الجيش الذي سيدمر بابل _ أي الماديون. عدد 19: " وَتَصِيرُ بَابِلُ، بَهَاءُ الْمَمَالِكِ وَزِينَةُ فَخْرِ الْكِلْدَانِيِّينَ، كَتَقْلِيلِ اللَّهِ سُدُومَ وَعَمُورَةَ ". لقد تحققت هذه النبوة. فقد كانت بابل أعظم مملكة ظهرت على هذه الأرض. كانت الإمبراطورية المقدونية عظيمة، وكانت إمبراطورية مصر عظيمة، وكذلك إمبراطورية روما. والله يدعو بابل "بهاء الممالك وزينة فخر الكلدانيين"، لكنّه دمرها كما دمر سدوم وعمورة. وما عليك، صديقي، إلا أن تنظر إلى خرائب بابل وآثارها وأطلالها لكي تدرك بأن ما تنبأ عنه النبي إشعياء قد حدث فعلياً.

لقد كانت بابل مدينة عظيمة دمرت ولم تُعمر فيما بعد. لكن هُنَاكَ مُنْ أُخْرَى دُمِّرَتْ وأعيد بناؤها مثل أورشليم وروما. كذلك، فقد دُمِّرَتْ فرانكفورت في ألمانيا ومُسيحت تماماً، لكنها بُنيت من جديد وعادت أجمل من السابق. أما بابل فلم تُعمر ثانية، وقد قال الله بأنها لن تُسكن من جديد. صحيح أن بابل ستبنى من جديد في المستقبل، لكن هذا لن يحدث في نفس موقع بابل القديمة وإنما في موقع آخر. ترمز بابل إلى التشويش والارتباك. وسوف تكون بابل المستقبلية مركزاً تجارياً عظيماً، ومركزاً دينياً عظيماً، ومركزاً سياسياً عظيماً، ومركزاً للقوة، ومركزاً ثقافياً للعالم

أَجْمَعَ مِنْ جَدِيدٍ. عدد 20: "لَا تُعْمَرُ إِلَى الْأَبَدِ، وَلَا تُسْكُنُ إِلَى دَوْرٍ قَدَوْرٍ، وَلَا يُخَيِّمُ هُنَاكَ أَعْرَابِيٌّ، وَلَا يُرْبِضُ هُنَاكَ رُعَاةٌ". كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ تُدْمَرَ بَابِلُ وَتَعُودَ لِلظُّهُورِ فِي الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ مِنْ جَدِيدٍ؟ يَبْعُدُ الْمَوْقِعُ الْقَدِيمُ لِبَابِلِ الْقَدِيمَةِ نَحْوَ سَبْعَةِ أَمْيَالٍ مِنْ نَهْرِ الْفُرَاتِ. وَيَجْرِي النَّهْرُ عَبْرَ قَنَاةٍ فِي وَسْطِ مَدِينَةِ بَابِلِ الْقَدِيمَةِ. وَلَنْ يَتِمَّ تَعْمِيرُ بَابِلِ الْقَدِيمَةِ أَبَدًا، بَلْ سَيَتِمُّ تَأْسِيسُ بَابِلٍ فِي مَكَانٍ آخَرَ. وَهِيَ أَطْلَالُ بَابِلِ الْقَدِيمَةِ تَقِفُ شَاهِدَةً عَلَى صِدْقِ وَصِيَّةِ النُّبُوَّةِ الْكِتَابِيَّةِ. وَقَدْ قَالَ الْعِدِيدُ مِنْ عُلَمَاءِ الْأَثَارِ الْقَدَمَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يُنْقَبُونَ فِي بَابِلٍ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَتِمَّكَنُوا أَبَدًا مِنْ إِقْنَاعِ سَكَانِ تِلْكَ الْمُنْطَقَةِ بِالْبَقَاءِ فِي الْمَخَيِّمِ الْوَاقِعِ بِالْقُرْبِ مِنَ الْأَثَارِ. فَقَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ يُفَضِّلُونَ الْإِبْتِعَادَ عَنْ تِلْكَ الْمُنْطَقَةِ رُبَّمَا لِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْخُرَافَاتِ. وَمِنْ الْمُدْهَشِ أَنَّ اللَّهَ قَالَ بَأَنَّ الْأَعْرَابِيِّينَ لَنْ يُخَيِّمُوا فِي بَابِلٍ.

عدد 21 و 22: "بَلْ تَرْبِضُ هُنَاكَ وَحُوشُ الْفَقْرِ، وَيَمْلَأُ الْيَوْمُ بُيُوتَهُمْ، وَتُسْكُنُ هُنَاكَ بَنَاتُ النِّعَامِ، وَتَرْقُصُ هُنَاكَ مَعَزُ الْوَحْشِ. وَتَصِيحُ بَنَاتُ آوَى فِي قُصُورِهِمْ، وَالذَّنَابُ فِي هَيَاكِلِ التَّنْعَمِ، وَوَقْتُهَا قَرِيبُ الْمَجِيءِ وَأَيَّامُهَا لَا تَطُولُ". "بَلْ تَرْبِضُ هُنَاكَ وَحُوشُ الْفَقْرِ". وَجَدْتَ بَعْضَ الْأَسْوَدِ الَّتِي سَكَنْتَ فِي تِلْكَ الْأَثَارِ. "وَتَرْقُصُ هُنَاكَ مَعَزُ الْوَحْشِ" - الْمَقْصُودُ هُنَا الشَّيَاطِينُ. فَالشَّيَاطِينُ تَرْقُصُ هُنَاكَ. لَقَدْ كَانَتْ بَابِلُ مَقَرَّ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ فِي الْعَالَمِ الْقَدِيمِ. وَيَبْدُو بِأَنَّ الشَّيَاطِينُ تَجْتَمِعُ هُنَاكَ. سَوْفَ تُصْبِحُ بَابِلُ الْمُسْتَقْبَلِيَّةُ مَرْكَزًا عَظِيمًا عَلَى الْأَرْضِ. وَسَوْفَ يَحْكُمُ إِنْسَانُ الْخَطِيئَةِ الْمَدْعُو "ضِدَّ الْمَسِيحِ" فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ. لَكِنَّ بَابِلَ الْمُسْتَقْبَلِيَّةَ سَتَلْقَى نَفْسَ مُصِيرِ بَابِلِ الْقَدِيمَةِ حَيْثُ سَتُدْمَرُ تَمَامًا. وَمَا تَرَالُ آثَارُ وَخِرَابُ بَابِلِ الْقَدِيمَةِ مَائِلَةً حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا لَنُذَكِّرَنَّ بِصِحَّةِ النُّبُوَّةِ الْمُتَحَقِّقَةِ وَبَأَنَّ اللَّهَ سَيُعَاقِبُ بَابِلَ الْمُسْتَقْبَلِيَّةَ وَيُدْمَرُهَا كَمَا دَمَّرَ بَابِلَ الْقَدِيمَةَ.

هذا يأتي بنا الى الفصل الرابع عشر من سفر إشعياء. هذا الفصل هُوَ نَتْمَةٌ لَدِينُونَةِ بَابِلِ الَّتِي بَدَأَتْ فِي الْفَصْلِ الثَّالِثِ عَشَرَ. كَانَتْ أَوَّلُ أُمَّةٍ سَتَقَعُ عَلَيْهَا دِينُونَةُ اللَّهِ هِيَ بَابِلُ. وَجَمِيعُ الْأُمَمِ الَّتِي سَتُدَانُ لَهَا عِلَاقَةٌ مَا بِالشَّعْبِ الْقَدِيمِ - سِوَاءٍ سِيَاسِيًّا أَوْ مِنْ حَيْثُ قُرْبِهَا الْجُغْرَافِيِّ مِنْهُ. وَهُنَاكَ قَضَايَا كَبِيرَةٌ عَلَى الْمَحَكِّ فِي الْفَصْلِ الرَّابِعِ عَشَرَ. وَالْفِكْرَةُ الرَّئِيسِيَّةُ فِي هَذَا الْفَصْلِ هِيَ أَصْلُ الشَّرِّ وَدِينُونَتُهُ وَاسْتِنْسَالُهُ نَهَائِيًّا مِنَ الْأَرْضِ.

الأوضاعُ المحليَّةُ والأُمَمُ هِيَ التَّعْبِيرُ عَنْ هَذِهِ الْأَفْكَارِ الْعَالَمِيَّةِ وَالْقَضَايَا الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْأَبَدِيَّةِ. وَهَذَا الْأَصْحَاحُ يَنْظُرُ إِلَى الْأُمَمِ وَمَشَاكِلِ هَذِهِ الْحَيَاةِ مِنْ خِلَالِ التِّلْكَوْبِ عَوَضًا عَنْ وَضْعِهَا تَحْتَ الْمَجْهَرِ لِفَحْصِهَا وَمُعَايَنَتِهَا. سَوْفَ تُقَامُ مَمْلَكَةُ الرَّبِّ وَتَزُولُ جَمِيعُ الْمَخَافِ وَالْأَخْطَارِ، وَلَنْ يَعُودَ هُنَاكَ أَعْدَاءٌ لِلرَّبِّ. وَالدِّينُونَاتُ الْمَذْكُورَةُ هُنَا وَفِي مَوَاضِعٍ أُخْرَى مِنْ سِفْرِ إِشْعِيَاءِ تَقْتَرِنُ عَادَةً بِتَوْضِيحِ لِسَبَبِ الْعِقَابِ. وَسَوْفَ نَرَى فِي هَذَا الْفَصْلِ خَطَّةَ اللَّهِ وَقَصْدَهُ لِهَذِهِ الْأَرْضِ. يَشْتَمِلُ الْفَصْلُ الرَّابِعُ عَشَرَ مِنْ إِشْعِيَاءِ عَلَى مَزِيحٍ مِنَ النُّورِ وَالظَّلَامِ. فَالْفَصْلُ يَنْتَقِلُ بَيْنَ نَشْوَءِ الْمَمْلَكَةِ وَالدِّينُونَةِ، وَنَرَى إِبْلِيسَ وَمُشْكَلَةَ الشَّرِّ مَائِلِينَ أَمَامَنَا. كَمَا أَنَّ هُنَاكَ مَقْطَعًا طَوِيلًا عَنْ الذَّمِّ النَّهَائِيِّ لِبَابِلِ. وَبُخْتَمَ هَذَا الْفَصْلُ الْمَلِيءُ بِالْمَوَاضِعِ الْهَامَّةِ وَالتَّبَايُنَاتِ الصَّارِخَةِ بِالْحَدِيثِ عَنْ دِينُونَةِ فِلَسْطِينَ الْقَدِيمَةِ الَّتِي رُبَّمَا تَكُونُ قَدْ تَحَقَّقَتْ بِمَوْتِ الْمَلِكِ أَحَازَ فَجَاءَ (2 مُلُوكَ 19: 20).

لنقرأ هذا الفصل الرابع عشر من إشعياء من الآية الأولى وحتى الحادية عشرة..

1لَأَنَّ الرَّبَّ سَيَرْحَمُ يَعْقُوبَ وَيَخْتَارُ أَيْضًا إِسْرَائِيلَ، وَيُرِيحُهُمْ فِي أَرْضِهِمْ، فَتَقْتَرِنُ بِهِمُ الْعُرَبَاءُ وَيَنْضَمُّونَ إِلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ. 2وَيَأْخُذُهُمْ شُعُوبٌ وَيَأْتُونَ بِهِمْ إِلَى مَوْضِعِهِمْ، وَيَمْتَلِكُهُمْ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ فِي أَرْضِ الرَّبِّ عِبِيدًا وَإِمَاءً، وَيَسْبُونُ الَّذِينَ سَبَوْهُمْ وَيَسْلُطُونَ عَلَى ظَالِمِيهِمْ. 3وَيَكُونُ فِي يَوْمٍ يُرِيحُكَ الرَّبُّ مِنْ تَعَبِكَ وَمِنْ أَنْزِعَاجِكَ، وَمِنْ الْعُبُودِيَّةِ الْقَاسِيَةِ الَّتِي اسْتُعْبِدْتَ بِهَا، 4أَنَّكَ تَنْطَلِقُ بِهَذَا الْهَجْرِ عَلَى مَلِكِ بَابِلَ وَتَقُولُ: «كَيْفَ بَادَ الظَّالِمُ، بَادَتِ الْمَغْطَرِسَةُ؟ 5قَدْ كَسَرَ الرَّبُّ عَصَا الْأَشْرَارِ، قَضَيْبَ الْمُتَسَلِّطِينَ. 6الضَّارِبُ الشُّعُوبَ بِسَخَطٍ، ضَرْبَةً بِلَا قُدُورٍ. الْمُتَسَلِّطُ بِغَضَبٍ عَلَى الْأُمَمِ، بِاضْطِهَادٍ بِلَا إِمْسَاكِ. 7اسْتَرَأَحَتِ، اطْمَأْنَنْتْ كُلُّ الْأَرْضِ. هَتَفُوا تَرَنُّمًا. 8حَتَّى السَّرُّو يُفْرَحُ عَلَيْكَ، وَأَرْزُ لُبْنَانَ قَائِلًا: مُنْذُ اضْطَجَعْتَ لَمْ يَصْعُدْ عَلَيْنَا قَاطِعٌ. 9الْهَازِيَةُ مِنْ أَسْفَلٍ مُهْتَرَّةٌ لَكَ، لَاسْتِقْبَالَ قُدُومِكَ، مُنْهَضَةٌ لَكَ الْأَخِيلَةُ، جَمِيعُ

عُظَمَاءِ الْأَرْضِ. أَقَامَتْ كُلُّ مُلُوكِ الْأُمَمِ عَنْ كَراسِيهِمْ. 10 كُلُّهُمْ يُجِيبُونَ وَيَقُولُونَ لَكَ: أَنْتَ أَيْضًا قَدْ ضَعُفْتَ نَظِيرَنَا وَصِرْتَ مِثْلَنَا؟ 11 أَهْبِطْ إِلَى الْهَالِيَةِ فَخُزْكَ، رَنَّةُ أَعْوَادِكَ. تَحْتَكَ تُفْرَشُ الرَّمَّةُ، وَغِطَاؤُكَ الدُّودُ.

"لَأَنَّ الرَّبَّ سَيَرْحَمُ يَعْقُوبَ وَيَخْتَارُ أَيْضًا إِسْرَائِيلَ، وَيُرِيحُهُمْ فِي أَرْضِهِمْ، فَتَقْتَرِنُ بِهِمُ الْغُرَبَاءُ وَيَنْضَمُّونَ إِلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ". يَتَحَدَّثُ هَذَا الْعَدُوُّ عَنْ آخِرِ الْأَيَّامِ وَلَا أَطْنُكَ، عَزِيزِي، تَرَى تَحْقِيقَ هَذِهِ النُّبُوءَاتِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ. فَحِينَمَا يَرُدُّ اللَّهُ الشَّعْبَ الْقَدِيمَ إِلَى الْأَرْضِ فَسَيَكُونُ ذَلِكَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بَعْدَ اخْتِيارِ الْكَنِيسَةِ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ وَخِلَالَ حُكْمِ الْمَسِيحِ، وَذَلِكَ عَلَى حَدِّ قَوْلِ د. مَكْنِي وَاضِعِ هَذِهِ الدِّرَاسَاتِ.

يَوْمُنَ الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ بِالْوَحْيِ اللَّفْظِيِّ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، لَكِنَّهُمْ حِينَمَا يَصِلُونَ إِلَى هَذَا الْمَقْطَعِ يَقُولُونَ بِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ تَفْسِيرَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ حَرْفِيًّا. لَكِنْ إِنْ أَنْكَرْنَا حَرْفِيَّتَهَا فَكَأَنَّا قَدْ أَنْكَرْنَا وَحْيَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. "لَأَنَّ الرَّبَّ سَيَرْحَمُ يَعْقُوبَ" - لَقَدْ قَالَ اللَّهُ هَذَا عِدَّةَ مَرَّاتٍ بِحَيْثُ يَتَعَدَّرُ عَلَى أَيِّ شَخْصٍ أَنْ يَقُولَ "لَا أَسْتَطِيعُ فَهْمَ ذَلِكَ" أَوْ "لَا بُدَّ أَنْ هَذَا يَعْنِي شَيْئًا آخَرَ". عِدَد 2 و 3 "وَيَأْخُذُهُمْ شُعُوبٌ وَيَأْتُونَ بِهِمْ إِلَى مَوْضِعِهِمْ، وَيَمْتَلِكُهُمْ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ فِي أَرْضِ الرَّبِّ عِيبَادًا وَإِمَاءً، وَيَسْبُونُ الَّذِينَ سَبَوْهُمْ وَيَسْلُطُونَ عَلَى ظَالِمِيهِمْ. وَيَكُونُ فِي يَوْمٍ يُرِيحُكَ الرَّبُّ مِنْ تَعَبِكَ وَمِنْ أَنْزِعَاجِكَ، وَمِنْ الْعُبُودِيَّةِ الْقَاسِيَةِ الَّتِي اسْتَعْبَدْتَ بِهَا". هَذَا لَمْ يَتَحَقَّقْ بَعْدُ أَيْضًا، صَدِيقِي، فَمَا زَالَ الْحَدِيثُ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ هُنَا. عِدَد 4: "أَنَّكَ تَنْطِقُ بِهَذَا الْهَجْوِ عَلَى مَلِكِ بَابِلَ وَتَقُولُ: «كَيْفَ بَادَ الظَّالِمُ، بَادَتِ الْمُعْطَرِسَةُ؟». أَعْتَقِدُ بِأَنَّ "بَابِلَ" الْمَذْكُورَةَ فِي هَذَا الْعَدَدِ تُمَثِّلُ الْعَدُوَّ الْجَبَّارَ فِي آخِرِ الْأَيَّامِ وَالَّذِي سَيَكُونُ مَقْرُوءَ بَابِلَ. وَهُوَ يُمَثِّلُ جَمِيعَ أَعْدَاءِ الشَّعْبِ الْقَدِيمِ. عِدَد 5 و 6: "قَدْ كَسَرَ الرَّبُّ عَصَا الْأَشْرَارِ، قَضَيْبَ الْمُتَسَلِّطِينَ. الضَّارِبُ الشُّعُوبَ بِسَخَطٍ، ضَرْبَةً بِلَا قُتُورٍ. الْمُتَسَلِّطُ بِغَضَبٍ عَلَى الْأُمَمِ، بِاضْطِهَادٍ بِلَا إِمْسَاكِ". تَتَحَدَّثُ هَذِهِ الْأَعْدَادُ عَنِ الدِّينُونَةِ الْآخِرَةِ فِي نِهَائِيَةِ فِتْرَةِ الضِّيقِ الْعَظِيمِ. فَالدِّينُونَةُ سَتَنْفَعُ لَا مَحَالَةَ، وَيَنْبَغِي مُعَاقِبَةُ هَذِهِ الْأَرْضِ؛ فَهَنَالِكَ جُورٌ كَثِيرٌ فِي الْأَرْضِ. وَسَوْفَ يَقُومُ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ بِتَنْفِيزِ هَذِهِ الدِّينُونَةِ.

عِدَد 7 و 8: "إِسْتَرَأَحَتِ، اطْمَأَنَّتْ كُلُّ الْأَرْضِ. هَتَفُوا تَرْتُمًا. حَتَّى السَّرُّو يَفْرَحَ عَلَيْكَ، وَارْزُ لُبْنَانُ قَائِلًا: مُنْذُ اضْطَجَعْتَ لَمْ يَصْعَدْ عَلَيْنَا قَاطِعٌ". الْأَشْيَاءُ الْمَذْكُورَةُ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ لَمْ تَتَحَقَّقْ بَعْدَ. بَعْدَ مَعْرَكَةِ هَرْمَجْدُونِ وَمَجِيءِ الْمَسِيحِ، سَيَعُمُّ السَّلَامُ وَالطَّمَأْنِينَةُ فِي الْأَرْضِ. وَعَوَضًا عَنِ الْحُزَنِ سَيَكُونُ هُنَاكَ فَرَحٌ وَتَرْنِيمٌ. وَالْآنَ سَنَرَى إِلقاءَ الْحَاكِمِ الْآخِرِ لِلْعَالَمِ فِي الْهَالِيَةِ، أَيِ الشَّيْطَانِ. عِدَد 9: "الْهَالِيَةُ مِنْ أَسْفَلٍ مُهْتَزَّةٌ لَكَ، لَا اسْتِقْبَالَ قُدُومِكَ، مُنْهَضَةٌ لَكَ الْأَخِيلَةَ، جَمِيعُ عُظَمَاءِ الْأَرْضِ. أَقَامَتْ كُلُّ مُلُوكِ الْأُمَمِ عَنْ كَراسِيهِمْ". الْهَالِيَةُ هِيَ الْقَبْرُ أَوْ مَكَانُ الْعَذَابِ. وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ الْمَعْنَى الْآخِرَ (أَيِ مَكَانِ الْعَذَابِ) هُوَ الْمَقْصُودُ هُنَا. عِدَد 10 و 11: "كُلُّهُمْ يُجِيبُونَ وَيَقُولُونَ لَكَ: أَنْتَ أَيْضًا قَدْ ضَعُفْتَ نَظِيرَنَا وَصِرْتَ مِثْلَنَا؟ أَهْبِطْ إِلَى الْهَالِيَةِ فَخُزْكَ، رَنَّةُ أَعْوَادِكَ. تَحْتَكَ تُفْرَشُ الرَّمَّةُ، وَغِطَاؤُكَ الدُّودُ". سَوْفَ يَزُولُ مَجْدُ الْإِنْسَانِ فِي النِّهَايَةِ.

نَعَمْ صَدِيقِي، سَوْفَ يَزُولُ مَجْدُ الْإِنْسَانِ فِي النِّهَايَةِ لِذَا يَا حَبِذَا لَوْ رَتَبْنَا أُمُورَ أَبَدِيَّتِنَا مِنْذُ الْآنَ، أَوْ الْأَصْحَحُ أَنْ نَقْبَلَ تَرْتِيبَ اللَّهِ لَخُلَاصِنَا. أَخِي الْكَرِيمُ، لَقَدْ أَصْدَرَ اللَّهُ حُكْمَهُ عَلَى الْبَشَرِ بِأَنَّهُمْ مَذْنِبُونَ، وَلَا يَوْجِدُ أَحَدٌ مُسْتَتْنِي مِنْ هَذَا الْحُكْمِ؛ الْيَهُودَ وَالْأُمَمَ، السُّودَ وَالْبَيْضَ، الذَّكَورَ وَالْإِنَاثَ، وَالْأَغْنِيَاءَ وَالْفُقَرَاءَ، الْجَمِيعَ بِلَا اسْتِثْنَاءٍ. لَا يَهْمُ مِنْ نَحْنُ يَا عَزِيزِي، وَلَا فَرْقٌ إِلَى أَيِّ جِنْسٍ نَنْتَمِي، فَأَنْتَ وَأَنَا نَقِفُ مَذْنِبِينَ أَمَامَ اللَّهِ. وَهَكَذَا تَأْخُذُنَا كَلِمَةُ اللَّهِ إِلَى الْعِبَادَةِ الرُّوحِيَّةِ حَيْثُ يَوْجِدُ الطَّبِيبُ الْأَعْظَمُ الَّذِي سَيَفْحَصُنَا وَالَّذِي سَيَقَرِّ بِأَنَّنَا مَرْضَى وَمَرْضَى حَتَّى الْمَوْتِ. وَفِي وَاقِعِ الْأَمْرِ نَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا. هَذِهِ حَالَتُنَا. وَعَلَّاجُنَا مَوْجُودٌ فَقَطْ فِي يَدِي الطَّبِيبِ الْأَعْظَمِ شَخْصِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي تَرَكَ سَمَاءَ الْمَجْدِ وَاتَى إِلَى أَرْضِ الْوِلَايَاتِ لِيُعَالِجَ هَذَا الْمَرَضَ الْعُضَالِ وَيُعْطِينَا حَيَاةً جَدِيدَةً تَدُومُ إِلَى الْأَبَدِ. هَلْ انْتَفَعْتَ مِنْ هَذَا الْعِلَاجِ يَا صَدِيقِي، أَمْ أَنْكَ لَا زِلْتَ تَعَانِي مِنْ دَاءِ الْخَطِيئَةِ الْفَتَاكِ؟

أخي وصديقي، تمرُّ الأيامُ والسنينُ والعصورُ، ودورةُ الحياةِ وروتينُها كما هي. فلا جديدَ تحتَ الشمسِ، ولا من حقيقةٍ نراها كحتميةِ الموتِ. يتعبُ الإنسانُ ويشقى خلفَ مكتسباتِ الحياةِ، فإذا بمخاسيرِها وويلاتها تسود. وفي النهايةِ، يرى الإنسانُ وإذا بكلِّ تعبٍ الذي تعبَه تحتَ الشمسِ يؤوُلُ الى تلكِ الحتميةِ نفسها: الموتِ، ثم سدادِ ثمنِ خطاياهِ. إذاً في عالمٍ كلُّ ما فيه باطلٌ وفانٍ، تحتاجُ الى يدٍ تمتدُّ من خارجِ محدوديةِ هذا العالمِ وفنائِهِ، فتُمسِكُ بيدِكَ، وتمنحك حياةً جديدةً تدومُ وتبقى، وتسمو فوق همومِ اليومِ وقلقِ الغدِ هكذا لم يأتِ يسوع ليقَدِّمَ ديناً جديداً، بل ليصنَعَ القلبَ الجديدَ، والإنسانَ الجديدَ. أتى ليكونَ تلكَ اليدَ الوحيدةَ الممتدة من خارجِ محدوديةِ عالمنا وفنائِهِ، يدُ اللهِ المحبِّ. وبعد أن سُمِّرت يدهُ على صليبٍ أعدَّ لي ولكِ، ليدفعَ ثمنَ خطيتي وخطيتِكَ، قامَ دائساً على حتميةِ الموتِ، لِيُمسِكَ بيدَكَ ويقودَكَ بمحبَّتِهِ في حياةٍ جديدةٍ، تبقى الى الأبدِ. الخيارُ لكِ صديقي فمن تختارُ؟